**أطوار علم الصرف ومعناه وفائدته**

*مبحث فى علم الصرف*

*إعداد / د. وليد علي الطنطاوي*

*قسم الدعوة وأصول الدين*

*كلية العلوم الإسلامية – جامعة المدينة العالمية*

*شاه علم - ماليزيا*

***waleed.eltantawy@mediu.edu.my***

**الخلاصة – هذا البحث يبحث فى أطوار علم الصرف ومعناه وفائدته**

**الكلمات المفتاحية – علم، اطوار، معناه**

* **.المقدمة**

 **الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه والتابعين ، سوف نقوم في هذا البحث بمعرفة أطوار علم الصرف ومعناه وفائدته**

* **.عنوان المقال**

**أطوار علم الصرف:**

**حاول بعض المتأخرين أن يوضّحوا أن الصرف مرّ بعدة أطوار, على غرار ما مرّ به النحو؛ فلخّص لنا ذلك الأستاذ عبد الحميد عنتر -رحمه الله تعالى- في كتابه (تصريف الأفعال) فقال: للصرف في نشأته وتدرّجه ثلاثة أطوار:**

**الأول: طور التكوين والنشوء:**

**وهو يبتدئ بعد عصر أبي الأسود الدؤلي -واضع أساس علم النحو على الأصحّ- والمتوفى سنة سبع وستين للهجرة، وذلك إلى عصر معاذ بن مسلم الهراء المتوفى سنة مائة وسبع وثمانين للهجرة.**

**وفي هذا الطور اندمج الصرف في النحو على أنهما علمٌ واحد، كما نرى في كتاب سيبويه الذي إليه مرجع النحو كله، وسُمي علم العربية؛ لأن مفهوم العربية كان يشمل النحو والصرف واللغة والأدب وغيره، وهذا ما حواه (كتاب) سيبويه، والذي هو مرآة صادقة ترينا تآليف المتقدمين التي أضاعتها أحداث الزمن، فقد تكلّم فيه عن قواعد الإعراب والبناء، وعن حروف الزيادة ومواضعها في الأسماء والأفعال، وعن الأفعال وتصاريفها، وعن الأسماء المشتقة، والنسب والتصغير، والتثنية، والجمع، والإعلال، والإبدال، وعن الاشتقاق، وسَمّى كل ذلك النحو كما سنرى في تعريفه عند المتقدمين.**

**الثاني: طور العناية بهذا العلم منفصلًا, وتخليص مسائله من مسائل النحو, وجعله علمًا مستقلًّا:**

**حدث ذلك على يد معاذ بن مسلم الهراء، وكان من أوائل علماء مدرسة الكوفة، وكان أستاذًا للكسائي الذي أنشأ هذه المدرسة، وجاء من بعده الفراء فثبّتها وثبّت أركانها, وجعلها مدرسة تسير جنبًا إلى جنب مع المدرسة البصرية، وتُزاحمها وتتطاول عليها ومعها.**

**فقد أطال معاذ هذا النظر في (كتاب) سيبويه, وكتب غيره من المتقدّمين حتى برع في صياغة الأبنية؛ لتدريب المبتدئين على ما لم يسمحْ من العرض.**

**الثالث: طور التّمام والاكتمال:**

**ويبتدئ من عصر أبي الفتح ابن جني إلى وقتنا هذا، وفي هذا الطور ظهر التأليف مستقلًّا عن النحو، وعُني العلماء بدراسة أصوله ووضع الشروط لموضوعات مسائله، باذلين في ذلك الجهد العظيم؛ إكبارًا لفائدة علم الصرف واعترافًا بفضله، وبما له من جليل الأثر في الإبقاء على اللغة وضبط الكثير من مفرداتها، لكي تضبط هذه المفردات بضوابط جامعة ومانعة.**

**ومن أشهر علماء الصرف بالإضافة إلى هؤلاء المذكورين سابقًا: ابن مالك، وابن الحاجب، والزمخشري، وغيرهم. هذه لمحة سريعة عن نشأة علم الصرف، وأهم رجاله، والمصنفات فيه.**

**ثانيًا: معنى الصرف:**

**حينما نتحدث عن الصرف أو عن مادة صرف "ص، ر، ف" لا بد أن نستوعب المعاني التي دارت حول هذه المادة في اللسان العربي، ثم بعد ذلك كيف دارت في أسلوب القرآن الكريم, و"الصرف" و"التصريف" في الأصل مصدران لـ "صرف" و"صرّف".**

**وكلمة "الصرف" قد وَرَدَت في اللغة العربية لمعانٍ كثيرة تدور كلها حول: التغيير، والتحويل، والتغليب، والتقليب ثم الانتقال. ومثل كلمة "صرف" كلمة "التصريف"؛ لكي نعرف المعاني التي تستفاد من هذه المادة، وأنها كلها تدور حول هذه المعاني الأربع: "التغيير والتحويل والتقليب والانتقال".**

**نرجع إلى (لسان العرب) مادة "صرف", يقول: الصرف: ردّ الشيء عن وجهه، وصرفه يصرفه صرفًا فانصرف، هذه عبارة (لسان العرب). ونرجع للقاموس, حيث يقول صاحبه: والتصريف في الكلام: اشتقاق بعضه من بعض، ومنه: تصريف الرياح، أي: تغييرها وتحويلها ونقلها من جهة إلى جهة أخرى، ومن حال إلى حال، وتصريف الآيات: تبيينها في أساليب مختلفة وصور متعدّدة، فالله تعالى يقول: {ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ} [الإسراء: 41] أي: كررنا هذا المعنى بوجوه من التقليل ليتعظوا ويعتبروا ويؤمنوا، وقال -جلّ ذكره-: {ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ} [الأنعام: 46] فتارة تعتمد على الوعد والوعيد, وأخرى على الترغيب والترهيب, وصارف نفسه عن الشيء: صرفها عنه، ومنه قوله تعالى: {ﮡ ﮢ} [التوبة: 127] أي: رجعوا عن المكان الذي استمعوا فيه، ويجوز أن تستعمل هذه الكلمة في أشياء كثيرة؛ لكن يجدر بنا أن نلاحظ أن تصريفًا أبلغ في الدّلالة من صرف.**

**وقبل البدء في تدريس الصرف كعلمٍ, نعرض لدوران هذه المادة في اللسان العربي؛ لنرى استعمال العرب لها, فنقول:**

**يقول الشاعر:**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **مرّ الشباب فما له من مصرف** | **\*** | **وصرف الله تعالى عنك السوء** |

**أي: أبعده، وحفظك من صرف الزمان وصروفه وتصاريفه، وصرف الدراهم: باعها بدراهم أو بدنانير، واصطرفها: اشتراها، تقول لصاحبك: بكم اصطرفت هذه الدراهم؟ فيقول: اصطرفتها بدينار، وتقول: فلان صراف وصيرف وصيرفي، وهو من الصيارفة، وتقول: للدرهم على الدرهم صرف في الجودة والقيمة؛ أي: له قيمة وفضل عليه، وتقول: صرّفه في أعماله وأموره فتصرف فيها، وتصرّفت به الأحوال، وصرف الشيء: عامله في غير وجهه، وكأنه يصرفه عن وجه إلى وجه، ولا يقبل الله تعالى له صرفًا, أي: لا يقبل له توبة، وهو يشرب الصريح والصريف، الصريف: الذي هو الحليب الحارّ ساعة تصرُّفه عن الضرع، يعني: بعد احتلابه من ضرع الماشية، وعنز صارف، وبها صراف ولأنيابه صريف، وللبقرة صريف، وشراب صرف، وقد صرفه صاحبه وصرفه.**

**ومن المجاز لهذه المادة: لهذا عليّ صرفٌ، وفلان لا يحسن صرف الكلام: فضل بعضه على بعض، وصرف عن عمله: عزل، وأنه لا يتصرف أي: يحتال، وفلان يصطرف لعياله: يكتسب، وتصريف الآيات: تبيينها، وتصاريف الأمور: تخاليفها، ومنه تصريف الرياح والسحاب: تحويلها ونقلها من جهة إلى جهة, ومن حال إلى حال.**

**وكلمة "الصريف" تطلق على سعف النخل اليابس, والصرف: ردّ الشيء من حال إلى حال، ومن الرّدّ تجيء استعمالات كثيرة، والصرف بمعنى إخلاء السبيل، صرف كضرب صرفًا ومصرفًا، وصرف القلوب: تحويلها عن الهداية، المصرف: المعدل, والتصريف كالصرف مع التكسير، كلاهما يدل على معنى واحد، لكن التصريف فيه كثرة عن الصرف، فتصريف الأمور والرياح والسحاب: تحويلها من جهة إلى جهة ومن حال إلى حال، والانصراف مطاوع الصرف، يعني يقول: صرف فانصرف انصرافًا, يعني: أن هذه المادة مطاوعة لمادة الصرف.**

**وقد وردت من هذه المادة في القرآن الكريم استعمالات كثيرة, نعرض لها فنقول:**

**قال الله تعالى: {ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ} [التوبة: 127], ويقول تعالى: {ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ} [الأحقاف: 29] {ﮛ ﮜ ﮝ} [آل عمران: 152], ويقول: {ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ} [الأعراف: 146] وهذه الكلمة وردت في سور كثيرة؛ {ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ} [يوسف: 33], {ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ} [يوسف: 34], وقال تعالى: {ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ} [يوسف: 24], وقال تعالى: {ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ} [النور: 43], وقال تعالى: {ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ} [الفرقان: 65], وقال تعالى: {ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ} [الأعراف: 47] أي: حولت ليروا أهل النار, {ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ} [الأنعام: 16], وقال تعالى: {ﮈ ﮉ} [غافر: 69], {ﰃ ﰄ} [يونس: 32], {ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ} [الفرقان: 19], {ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ} [الكهف: 53], {ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ} [هود: 8], {ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ} [الإسراء: 41].**

**وكلمة "صرفنا" قد وردت في مجموعة من السور في الإسراء والكهف والأحقاف؛ في الإسراء مرتين وفي الكهف مرتين, وفي طه وفي الأحقاف كلمة "صرفنا", ووردت كثيرًا بهذا: {ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ} [الفرقان: 50], فوردت في سورة الفرقان, وقال تعالى: {ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ} [الأنعام: 46], ونصرف سنجدها في سورة الأنعام مرتين بل ثلاثًا، وفي سورة الأعراف مرة: {ﭲ ﭳ ﭴ} [البقرة: 164], ونجد كلمة تصريف جاءت في البقرة، وجاءت في سورة الجاثية, قال تعالى: {ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ} [التوبة: 127].**

**هذه الآيات التي وردت فيها المادة بالمعاني المختلفة, التي دلت عليها.**

**ثالثًا: فائدة علم الصرف:**

**ممّا لا شكّ فيه أن علم الصرف عظيم جليل القدر، رفيع المكان عالي المنزلة، يحتاج إليه كل مشتغل باللغة العربية؛ لأنه ميزانها كما ذكر ابن عصفور في مقدمة كتابه (الممتع), حيث يقول: التصريف أشرف شطري العربية وأغمضهما، فالذي يبين شرفه احتياج المشتغلين باللغة العربية من نحويّ ولغويّ إليه؛ لأنه ميزان العربية، ألا ترى أنه يُؤخذ جزء كبير من اللغة العربية بالقياس، ولا يتوصل إلى ذلك إلا من جهة التصريف؟ فحاجتنا إليه ماسة؛ لصون اللسان وعصمته من الخطأ في المفردات، وضبط الصياغة، وذلك من حيث بنية الكلمة؛ حتى لا نقع في هوة التحريف، ولا يلحقنا عار التصريف؛ لذا قال ابن جني في (المنصف): فلهذه المعاني, ونحوها كانت الحاجة بأهل علم العربية إلى التصريف ماسّة.**

**وقليلًا ما يعرفه أكثر أهل اللغة؛ لاشتغالهم بالسماع عن القياس, ولهذا لا تكاد تجد لكثير من مصنفي اللغة إلا وفيه سهو وخلل في التصريف، يقول: وليس هذا غضًّا من أسلافنا ولا توهينًا لعلمائنا، وإنما أردت التنبيه على فضل هذا القبيل من علم العربية، هذا ما قاله ابن جني.**

**أما نحن وقد تأخر بنا الزمن, وبعد لساننا عن صريح اللغة العربية، وفشا بيننا اللحن والخطأ، حتى إننا لم نعد نحسن الكلام أو نخرج الكلام الدقيق الموافق للغة العربية؛ ولذلك فنحن لن نستطيع أن نفهم مثلًا قول رسول الله : ((الولد مبخلة مجبنة)) إلا إذا عرفنا أن "مفعلة" صيغةٌ تدل على سبب الفعل المشتق منه، والحامل عليه، والداعي إليه، فنفهم حينئذٍ -كما قال البغدادي في (خزانة الأدب)- أن الولد سبب للجبن والبخل، فيجعل والده جبانًا لا يشهد الحروب ليربيه، ويجعله بخيلًا يجمع المال ويتركه له من بعده.**

**وكيف يستطيع عالم أو أديب أن يفهم قول عمرو بن معديكرب لمجاشع بن مسعود السلمي، وقد سأله فأعطاه وأغدق عليه، فماذا قال عمرو لمجاشع بن مسعود السلمي؟ قال: "لله درّكم يا بني سليم! سألناكم فما أبخلناكم، وقاتلناكم فما أجبناكم، وهاجيناكم فما أفحمناكم" عبارات دقيقة يقولها رجل عربي قحّ، صادق في قوله, قوي في لغته "سألناكم فما أبخلناكم" أي: أعطيتمونا لما سألناكم، أعطيتمونا فما وجدناكم بخلاء، ثم يقول "وقاتلناكم فما أجبناكم" أي: قاتلناكم فلم نجدكم جبناء، وهذه العبارة تحمل المعنى الدقيق الذي يريد أن يوصله الرجل, و"هاجيناكم" أي: قلنا فيكم الشعر وهجاء لاذعًا، "فما أفحمناكم" أي: فما غلبناكم أو جعلناكم لا تنطقون، وهذه العبارة الدقيقة يمكن أن نفهمها في كلمات بسيطة، أي: فما وجدناكم بخلاء, ولا جبناء, ولا مفحمين.**

**كيف يستطيع من لا يدرس الصرف أن يفهم, أن أفعل من معانيها وجود مفعولها على صفة؟ تقول: أحمدتك, أي: وجدتك محمودًا.**

**فعلم الصرف يساعدنا على فهم الصيغ، ويعصم ألسنتنا من الخطأ في ضبطها، ويمكننا من تغيير الأسلوب وتنويعه، ومعرفة المطرد منه وغير المطرد، والأصلي والزائد, وغيره كما سبق.**

**وكل ذلك يؤدّي إلى تيسير اللغة وتقريبها وفهمها، فنفهم بذلك كتاب الله تعالى وسنة رسوله وأقوال العرب، فهو في المرتبة الأولى من حيث التعلم؛ حتى إنه يسبق النحو ويأتي قبله؛ لأنه يؤلف بين أشتات اللغة بقواعد كلية وضوابط جامعة.**

**المراجع والمصادر**

1. **أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد الأنباري، (الإنصاف في مسائل الخلاف) دمشق، دار الفكر، 1998م.**
2. **أحمد حسن كحيل، (التبيان في تصريف الأسماء) القاهرة، مطبعة السعادة، 1978م.**
3. **عبد الحميد عنتر، (تصريف الأفعال) طبعة الجامعة الإسلامية، 1409هـ.**
4. **عبد العظيم الشناوي، (التعريف بفن التصريف) طبعة الجامعة الإسلامية، 1399هـ.**
5. **أبو الفتح عثمان بن جني، (الخصائص) تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، 1953م.**
6. **محيي الدين عبد الحميد، (دروس التصريف) بيروت، المكتبة المصرية، 1955م.**
7. **(شافية ابن الحاجب بشرح الرضي الأستراباذي) تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، 1982م.**
8. **الشيخ الحملاوي، (شذا العرف في فن الصرف) شرحه: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، 1419هـ.**
9. **ابن عقيل الهمداني، (شرح ألفية ابن مالك) تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مصر، المكتبة التجارية الكبرى، 1964م.**
10. **علي بن محمد الأشموني، (شرح الأشموني على ألفية ابن مالك) تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت، دار الكتاب العربي، 1955م.**
11. **خالد الأزهري، (شرح التصريح على التوضيح) تحقيق: محمد باسل، دار الكتب العلمية، 2005م.**
12. **نجم الدين محمد بن الحسن رضي الدين الأستراباذي، (شرح الكافية) طهران، مؤسسة الصادق، 1978م.**
13. **ابن يعيش، (شرح المفصل) عالم الكتب، 1999م.**
14. **فتحي الدجني، بيروت، (الصرف العربي, نشأة ودراسة) دار الكتاب العربي، 2001م.**
15. **الخليل بن أحمد الفراهيدي، (العين) تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، بغداد، وزارة الثقافة العراقية، 1980م.**
16. **عبد الحميد عنتر، (القول الفصل في التصغير والنسب والوقف والإمالة وهمزة الوصل) طبعة الجامعة الإسلامية، 1409هـ.**
17. **عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه، (كتاب سيبويه) تحقيق: عبد السلام هارون، بيروت، عالم الكتب، 1983م.**
18. **أحمد بن الحسن بن يوسف الجاربردي، (مجموعة الشافية من علمي الصرف والخط) بيروت، عالم الكتب، 1984م.**
19. **محمد عبد الخالق عضيمة، (المغني في تصريف الأفعال) دار الحديث للنشر والتوزيع، 1991م.**
20. **ابن عصفور الإشبيلي، (الممتع في التصريف) تحقيق: فخر الدين قباوة، بيروت، 1979م.**
21. **زكريا الأنصاري، إستانبول، (المناهج الكافية في شرح الشافية) دار الطباعة العامرة، 1310هـ.**
22. **أبو الفتح عثمان ابن جني، (المنصف في شرح كتاب التصريف) تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية 1999م.**
23. **أبو العباس المبرِّد، (المقتضب) تحقيق: حسن حمد وإميل يعقوب، دار الكتب العلمية، 1999م.**